المحاضرة الأولى

مفهوم الحروب الصليبية الأسباب التي أدت الى قيامها

The concept of the Crusades and the reasons for its creation

_مفهوم الحروب الصليبية

يقصد بالحملات الصليبية, الحملات ذات الطابع الديني التي ارسلها مسيحيو غربي أوربا الى الشرق الاسلامي بين عامي 489ه -690هـ لانتزاع الارض المقدسة في فلسطين من المسلمين, وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى مشارة الصليب التي اتخذها الغزاة علامة لهم, وهي ايضاً هجرة واسعة قام بها سكان أوربا الغربية الى الشرق الاسلامي لاحتلاله [1] ولأقامه مستعمرات لهم بيئة أكثر ثراءً من أوربا لذا فهي تعتبر من أهم وأخطر مراحل التوسع الاوربي الاستعماري في العصور الوسطى [2]

كما تعرف على انها حركة كبرى نبعت من الغرب الاوربي المسيحي في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربي استيطاني على البلاد المسلمين وبخاصة في الشرق الادنى بقصد امتلاكها وقد انبعثت هذه الحركة عن الاوضاع الفكرية والاقتصادية الاجتماعية والدينية التي سادت غرب أوربا في القرن الحادي عشر واتخذت من استعانة المسيحين في الشرق ضد المسلمين ستاراً دينيا للتعبير عن نفسها تعبيراً علمياً واسع النطاق [3]

وقد سميت بالحروب الصليبية لان الكنيسة هي التي دعت لها على لسان البابا اوريان الثاني بابا

روما في دير كلير مونت بجنوب فرنسا أو لان المشاركين في هذه الحروب كانوا يخيطون الصليب على الكتف الايمن لعباءاتهم كما ان هذه الحملات ,يقدمها رجال الدين مسيحين يحملون الصليب بأيديهم[4]

لم تستخدم في المصادر الاوربية كلمة الحروب الصليبية بل استخدمت عبارة الرحلة الى الارض المقدسة أو اصطلاح

الحرب المقدسة على اعتبار ان الافرنج الذين توجهوا الى بيت المقدس ما هم الا حجيج يريدون الحج الى الاماكن

المقدسة(5)

يرى فريق من المؤرخين ان الحروب الصليبية التي بدأت الدعوة لها سنة 488هـ\1095م ماهي الا استمرار لحركة الحج الجماعي الى بيت المقدس مع حدوث تطور في الاسلوب اذا هؤلاء الحجيج حملوا السلاح معهم وذلك بحجة الدفاع عن انفسهم, بينما يرى اخرون ان الحروب الصليبية كانت وسيلة تحايل بها الغرب الاوربي للتخلص من قيود العصور الوسطى

([1]) طفوش, محمد سهيل, تاريخ الحروب الصليبية, ط, دار النفائس, لبنان, 2011,ص13.

([2]) الكناني, مصطفى حسن محمد , العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الادنى, تقديم, جوزيف نسيم, اسيوط, مصر 1981, ص14.

([3]) عاشور, سعيد عبد الفتاح, الحركة الصليبية, ط1, مكتبة لانجلو مصرية, مصر 2010, ط, ص8.

([4]) قاسم, عبده, ماهية الحروب الصليبية, عالم المعرفة, الكويت ,1978,ص8.

([5]) قاسم, عبده قاسم, ماهية الحروب الصليبية ,ص10.

والانطلاق الى حياة اوسع افقياً. خاصة وان الكنيسة كانت تضيق عليهم وكل يحاول الخروج عن طاعتها يتعرض لغضب الكنيسة ويطرد من رحمتها[6].

كانت الظروف في نهاية القرن الخامس الهجري مواتية بالنسبة للغربين فقد كان ميزان القوى في صالحهم بينما كان المسلمون يعانون من التفكك والانقسام السياسي والمذهبي الامر الذي ساعد الصليبين الاوائل على النصر والاستقرار في الشرق بشكل سريع, تعددت الحملات الصليبية التي خرجت من أوربا حتى عددها الحقيقي غير معروف تماماً الا ان المؤرخين يذكرون ثمان حملات اتجهت اربع فيها نحو الشام(الاولى والثانية والثالثة والسادسة) واثنتان ضد مصر (الخامسة والسابعة) وواحدة الى القسطنطينية (الرابعة) والحملة الثامنة اتجهت الى شمال افريقيا (تونس) لا يعرف على وجه التحديد السبب في تميزها واعطاءها ارقاماً عددية دون غيرها من الحملات ولعل هذا التميز يرجع الى ما حصلت علية هذه الحملات من شهرة بسبب النجاحات التي حققتها في الاراضي المقدسة وتمكنها من تأسيس اربع امارات في الشرق وهي الرها بأعلى الفرات وامارة انطاكية بأعالي الشام وامارة طرابلس الشام على الساحل وامارة بيت القدس في قلب فلسطين[7]

_أسباب قيام الحروب الصليبية

ان الاسباب الدافعة لهذه الحروب لم تكن واحدة ولاسيما انها امتدت قرنين من الزمن اختلفت خلالها الاوضاع والقوى والدوافع, اذ تعددت الاسباب للحروب الصليبية لتشكل اسباب دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وتاريخية.

اولاً: السبب الديني

اعلنت أوربا ان الهدف من هذه الحروب هو تخليص بيت المقدس من ايدي المسلمين وتهيئة جو أمن للحجاج النصارى والمعاملة السيئة التي يتعرضون لها من قبل حكام البلاد الاسلامية التي مروا بها[8]

فالهدف الديني هو الهدف المعلن للحملة وانقاذ الدولة البيز نطية من المسلمين اضافة الى ادعاء البابا ان المسلمين يضطهدون الحجاج المسيحيين فالبابا اريان الثاني اظهر حماسة كبيرة للحرب ضد المسلمين والسبب في ذلك هو الرغبة في اظهار البابوية في صورة الهيئة المتزعمة للعالم المسيحي الغربي خاصة بعد ان اشتد الصراع بين الكنيسة الغربية والدولة البيزنطية حول السيادة

([6]) قاسم , ماهية الحروب الصليبية , ص10

([7]) عاشور , الحروب الصليبية, 25/1

([8]) عاشور , الحركة الصليبية, 28/1

على العالم كما وجد في ذلك فرصة لبسط سيطرة البابوية على الكنيسة الشرقية لذلك لم يكد الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين يستنجد بالبابا اريان الثاني حتى لبى البابا النداء [9]

الا انه لم يثبت ابداً ان المسلمين اضطهدوا الحجاج النصارى فقد تمتع النصارى بحرية كاملة في الاحتفاظ بكنائسهم القديمة واقامة شعائرهم الدينية وهذا واضح في رسالة بطريرك القدس بنود سيوس شخصياً في احدى رسائلة الى بطريرك القسطنطينية سنة255هـ حيث امتدح المسلمين واثنى على قلوبهم الرحيمة وتسامحهم المطلق كما ان سلوك المحاربين في هذه المعارك سواء في رحلتهم الى بيت المقدس او اثناء حروبهم اي علامات للزهد او الورع الذي يتصف به المتدينون

ثانياً: السبب السياسي

كان للسبب السياسي أثر قوي في حمل الكثيرين من نبلاء غربي أوربا على الاستجابة الى الدعوة البابا لهم بالتجهيز لحرب المسلمين المسيطرين على الاماكن المقدسة فأراد كبار الامراء الذين شاركوا في الحروب الصليبية تأسيس امارات لهم في الشرق بعد أن ضاقت أوربا بأقطاعاتهم فرأت الكنيسة وكذلك الاباطرة ضرورة نقل الصراع الذي كان ينشب بين هؤلاء الاقطاعين الى خارج أوربا, اضافة الى ان الكنيسة هي التي كانت مسيطرة على المجتمع الاوربي في تلك الفترة[(1)]

فكانت البابوية تتمتع بنفوذ سياسي على ملوك أوربا وامراءها وهذا مكنها من فرض رغباتها السياسية عليهم بالارهاب والقوة واستخدمت الكنيسة الحرمان لكل من يعصي أوامرها وهذا ما حدث للامبراطور فردريك الثاني الذي اخذ البابوات الواحد تلو الاخر يلحون علية للخروج على رأس حملة صليبية الى الشرق ضد المسلمين فماطل الامبراطور مرة بعد اخرى فأصدر البابا قرار الحرمان ضدة, كذلك الامراء الذين اسهموا في الحركة الصليبية فمعظمهم كان يجرى وراء اطماع سياسية والتي لم يستطيعوا اخفاءها قبل وصولهم الى الشام وبعد استقرار هم فيه [12]

اضافة الى النظام الاقطاعي الذي يرتبط بالارض فهؤلاء الامراء يحصلون على المكانة السامية كلما كان الاقطاع كبيراً والارض واسعة بالأضافة الى القواعد الاساسية لهذا النظام وهي ان الابن الاكبر هو وحده الذي يرث الاقطاع اذا مات صاحبه وهذا يعني الفناء لبقية الابناء الامر الذي جعل الفرسان و الامراء المحرومين من الارض يتحايلون للتغلب على هذه العقبة فكانت الحروب الصليبية متنفساً لهم اضافة الى الرغبة في الكسب واشباع روح المغامرة كانت من عوامل قيام هذه الحروب كما ان الفرسان ارادوا اظهار قوتهم في هذه الحروب فلم تشبع رغبتهم تلك المبارزات التي كانوا يقيمونها فيما بينهم ومما يؤكد أهمية الجانب السياسي في الغزو الصليبي

([9]) السرجاني , راغب, قصة الحروب الصليبية, ط1, (مؤسسة اقرأ , القاهرة– 2008) ص61.

عند ملوك وامراء أوربا المشاركين في هذه الحروب هو الصراع المسلح الذي نشب بينهم بعد أن فرضوا سيطرتهم على بلاد الشام من اجل الحصول على المدن والقلاع بل تحالفوا مع المسلمين ضد اخوانهم الصليبين[10]

ثالثاً: السبب الاجتماعي

ساد المجتمع الاوربي في العصور الوسطى نظام الطبقات, اذ تألف المجتمع الاوربي من ثلاث طبقات هي طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين والتي تشمل النبلاء والفرسان وطبقة الفلاحين والتي تضم الاقنان ورقيق الارض وكانت الطبقتان الاوليتان اقلية تمثل في مجموعه الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية والارستقراطية السائدة من وجهة النظر الاجتماعية اما الطبقة الاخيرة وهي طبقة الفلاحين تمثل الغالبية العظمى من المجتمع الاوربي وكان هؤلاء يعيشون حياة مليئة بالبؤس فقد عاشوا مثقلين بمجموعة ضخمة من الالتزامات والخدمات لسيد القطاع اضافة الى اعمال السخرة وكذلك دفعهم لضرائب معينة[11]

الحياة في ظل نظام الاقطاع شاقة بغيضة الى النفوس الفلاحين وعبيد الارض ولهذه الاسباب مجتمعه لم يجد افراد هذه الطبقة سببا يشجعهم على البقاء في بلادهم فوجدوا في الحروب الصليبية فرصة هيأت لهم الخلاص من القيود والحياة البائسة التي يعيشوها, اضافة الى الخارجين عن القانون الذين كانوا يعانون احكاماً قضائية وجدوا في الخروج في هذه الحروب فرصة للنجاة من هذه الاحكام وكذلك لمزاولة السلب والنهب[12]

رابعاً: السبب الاقتصادي

الاحوال الاقتصادية في غرب أوربا وخاصة فرنسا سيئة جداً ففرنسا كانت تعيش مجاعة عامة ترتب عليها قلة وجود المحاصيل الزراعية وخاصة القمح وارتفعت الاسعار مما أدى الى ازمة اقتصادية حقيقية ومن هنا رأى الفرنسيون الاشتراك بالحروب الصليبية للتخلص من الازمة الطاحنة اذ كان الغزو الصليبي بمثابة مخرج للفقراء والمساكين والجياع من أوربا بالهجرة الى بلاد الشام والتخلص من الاوضاع المعاشية الصعبة والسيئة التي كانوا يمرون بها غرب أوربا[13] ولشدة هذه الازمة فان الناس اضطروا الى اكل العشب والحشائش ومن سوء الاحوال الاقتصادية في الغرب الاوربي في ذلك الوقت كثرة الحروب بين الامراء الاقطاعين مما اضر بالتجارة وطرقها والزراعة وحقولها فجاءت الحروب الصليبية التي كانت ملجأ للكثير من الفقراء للتخلص

([10]) الزيدي , مفيد , موسوعة تاريخ اوربا ,(دار أسامة ,عمان –2003),332/1

([11]) عاشور , الحركة الصليبية ,36/1.

([12]) السرجاني ,قصة الحروب الصليبية ص65.

([13]) السرجاني ,قصة الحروب الصليبية ,ص66.

من اوضاعهم المعاشية المتردية ومما يؤكد الجانب الاقتصادي للحروب الصليبية هو النشاط للمدن التجارية في ايطاليا خاصة في البندقية وجنوا فساهمت هذه المدن بنقل الصليبين على بلاد الشام سيتيح لها منفذ يمكنها من اختراق الحصار الذي فرضه المسلمون على تجارة الشرق بسيطرتهم على نصف شواطئ البحر المتوسط[14]

تمتعت المدن الايطالية التجارية باعفاءات خاصة من الضرائب, اصطبغت الحركة الصليبية من اول امرها بصبغة اقتصادية استغلالية فالمشاركين فيها لم يحاربوا من اجل الصليب ومحاربة المسلمين وانما جرياً وراء المال وجمع الثروات واقامة مستوطنات ومراكز ثابتة لهم في قلب الوطن الاسلامي وذلك لاستغلال موارده والمتاجرة فيها والحصول على اكبر قدر ممكن من الثروة, وهذا ما عبر عنه البابا أوربان الثاني في خطابة حيث اكد على اهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لواقع أوربا[15]

السبب المباشر في قيام الحروب الصليبية

تعد معركة ملاذ كرد سنة 463هـ المعركة الحاسمة والسبب المباشر في قيام الحروب الصليبية اذ تمكن السلطان الب أرسلات من قيادة حملة كبيرة ضد الاقاليم النصرانية المجاورة لحدود دولة فسيطر على عمورية ونيكسار وغيرها من المناطق الخاضعة للبيزنطيين فأدر الامبراطور رومانوس ان الب ارسلان يصبغ غزوة للبلاد بصيغة الجهاد الديني وهو يطيع المناطق المفتوحة بالطابع الاسلامي مماجعل نشوب الحرب بين المسلمين والبيزنطيين امراً لا صغر منه[16]

جهز السلطان جيشة استعداداً للمعركة كما استعد الامبراطور البيزنطي رومانوس للمعركة وجهز جيشا ضخما يتكون من مائتي الف مقاتل وتحرك بهم من القسطنيطنيه عاصمة دولة واتجه الى ملاذ كرد حيث يعسكر الجيش الاسلامي قوات المسلمين كانت حوالي عشرين الف مقاتل كان اللقاء يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر فأنهم يدعون للمجاهدين بالنصر وتمكن السلطان الب ارسلان من احراز النصر على الروم البيزنطيين واسر الامبراطور رومانوس الذي افتدى نفسه بألف دينار وخمسمائة الف وتمكن السلاجقة من الاستحواذ على اسيا الصغرى واستولوا على نيقية سنة 477هـ[17]

([14]) عاشور ,الحركة الصليبية ,35/1

([15]) المغلوث ,اطلس الحملات الصليبية ,ص24.

([16]) الصلابي ,علي محمد , دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ,ط1(مؤسسة اقرا , القاهرة –2006), ص78.

([17]) عاشور ,الحركة الصليبية ,78/1.